الفائدة الثانية:

بيان الدليل الصريح في إثبات صفة النزول لله عَزَّوَجَلَّ

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ متصف بالصفات الفعلية الاختيارية:

قَالَ تَعَالَى: {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [البروج:١٦]، وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ} [الأنعام:١٥٨]، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ} [البقرة:٢١٠]، وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا} [الفرقان:٢٥]، أي: استعدادًا لنزول الجبار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر:٢٢].

وينزل الله عَزَّوَجَلَّ إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، وأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في «الصحيحين»، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»**، متفق عليه(١).

فهذا حديث خرجه كثير من أصحاب الكتب المصنفة كالمسانيد والجوامع، وهو العمدة في إثبات هذه الصفة.

---

(١) البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

وجاء من حديثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي، يَهْبِطُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**»(١) الحديث.

وذكر الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند» حديث رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ - أَوْ قَالَ: ثُلُثَا اللَّيْلِ - يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**» الحديث، وقد اختُلِفَ فيه بين محسنٍ ومعلل له، وهو مذكور في «نقض عثمان الدارمي على المريسي»(٢).

وأيضًا جاء عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَنْ أَبِي مُوسَى، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أحاديث كثيرة في الباب؛ حتى ذَكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن الصحابة الذين رَوَوا حديث النزول قريب من ثمانيةٍ وعشرين صحابيًا.

ويستدل العلماء على ذلك بحديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في «صحيح مسلم»(٣): «**وَإِنَّ** [الله تعالى] **لَيَدْنُو** - عشيَّةَ عرَفَة - **ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟**».

ويستدلون بحديث عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ**»(٤). بهذا اللفظ.

وهنا مسائل: المسألة الأولى؛ هل يلزم من إثبات النزول الحركة، والإنتقال، أم لا يلزم؟

ذهب الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ في «نقضه على المريسي» إلى إثبات الحركة، والإنتقال،

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٦٧٣)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) (٢١٢).

(٣) برقم (١٣٤٨).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٧٩)، وهو حديث ثابتٌ ومخرج في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

وشدد على من نفاهما، والصحيح في هذه المسألة وما في بابها من الحد، والغاية والجهة، والحيز، والحركة، والإنتقال؛ أننا نقول: ما أثبته الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ أثبتناه، وما نفاه الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ نفيناه مع إثبات كمال الضد، فالنبي ﷺ جاء بلفظ: «**يَنْزِلُ**»، وجاء بلفظ: «**يَهْبِطُ**»، وجاء بلفظ: «**يَدْنُو**»، وجاء بلفظ: «**يقرب**»، فنثبت هذه الألفاظ على ما جاءت مع إثبات معانيها الحقه.

قضية يخلو منه العرش، أو لا يخلو منه العرش؟!، أو بحركة وانتقال، أو بغير حركة وانتقال؟!، هذه لم تأتي في الكتاب والسنة إثباتًا، ولا نفيًا فنتوقف فيها، وهذا مذهب الذهبي، وأظنه لابن القيم أيضًا، وابن قدامة، والشيخ ابن عثيمين، وعليه كذلك مشائخنا، وعليه كثير من المتقدمين، والمتأخرين.

* بقي هل يقال ينزل بذاته، أم نقول ينزل ويكفي؟

ينزل، قالوا: لو قلنا ينزل بذاته لقلنا يسمع بذاته، ويبصر بذاته، ويعلم بذاته، يخلق بذاته؛ والسلف لم يكونوا يستطردون هذا الاستطراد، مع أن بعضهم قد قال: ينزل بذاته وبَدعه بعضهم، ولا يصل لحد البدعه، ولكن يصل إلى أنه قولٌ غيره أحسن منه.

وقد نظم ابن الجوزي الأبيات ليدلل على أن بعضهم يقول: ينزل بذاته:

أَدْعُـوكَ وَلِلْوَصْـلِ تَـأْبَى ❁❁❁ أَبْعَـثُ رَسُـولِي فِي الطَّلَـبِ
أَنْـــزِلُ إِلَيْـــكَ بِنَفْسِـــي ❁❁❁ أَلْقَـــــاكَ فِي النَّـــــوْمِ

* مسألة: صفة النزول يثبت بها صفة العلو

لأن النزول يكون من أعلى، والأدلة على صفة العلو كثيرة في الكتاب

والسنة منها، قَول اللَّهُ تَعَالَى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى:١].

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} [الليل:٢٠].

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل:٥٠]، إلى غير ذلك مما يأتي إن شاء الله.

*** وعندما نقول ينزل الله عَزَّوَجَلَّ إلى السماء الدنيا لا يلزم أن السماء تُقله، أو تُظِلُّه؛ بمعنى أن السماء الثانية تكون فوقه، والسماء الدنيا تكون حاملة له**، ولا يجوز اعتقاد هذا؛ لأن الكرسي أعظم وأعظم من السموات والأرضين، والله عَزَّوَجَلَّ لا يحل في شيء من مخلوقاته؛ ولكن جاءت الأحاديث بإثبات النزول نثبته مع البعد عن هذه اللوازم، فلا يعتقد أن السماء تُظِلُّه، أو تُقِلُّه فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الغني الحميد الواسع الكبير.

*** ونفى النزول المبتدعة** من أمثال المعتزلة، والجهمية، والأشاعرة، ومن سلك سبيلهم من الإباضية، والرافضة، ومن إليهم.

وقالوا: الذي ينزل هو الرحمة، أو الأمر، أو ملك من ملائكة الله؛ ورد عليهم بأنه لا يقول قائل، ولا عاقل، أن الذي يقول: من يدعوني؟، من يسألني؟، من يستغفرني؟ هي الرحمة، أو الأمر، أو الملك؛ لأن هذا خطاب من الله عَزَّوَجَلَّ: «**لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي، مَنْ ذَا يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنِ الَّذِي يَدْعُونِي فأَستَجِيبُ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ**»(١)، والمعلوم أن الذي يستجيب الدعاء هو الله عَزَّوَجَلَّ، «**مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ**»، والمعلوم أن الذي يفرج الكرب، ويقضي

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٦٢١٥)، عَنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

الحاجات هو الله عَزَّوَجَلَّ، «**مَنْ ذَا يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران:١٣٥].

هذه بعض الفوائد المتعلقة بهذه المسألة، وقد ألف فيها أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة حققها أخونا الشيخ صادق البيتي، وحققها الشيخ حامد الفقِّي.

والله المستعان.